رواية

المُسدس

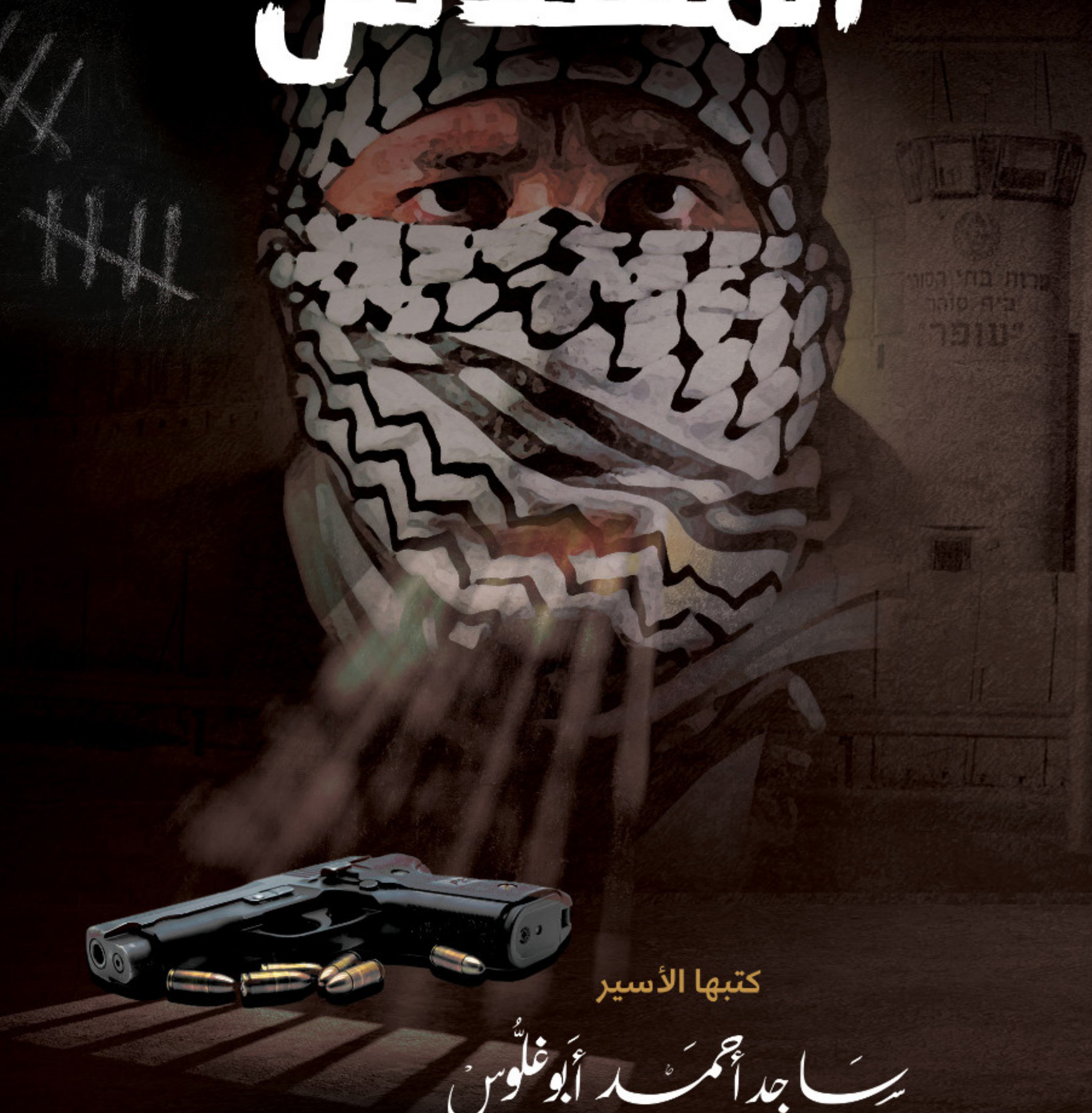

كتبها الأسير

ساجد أحمد أبو غلوس

روايــة

المسدس

كتبها الأسير

ساجد أحمد أبو غلوس

٢٠٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الحمد لله الذي خلقنا مؤمنين مجاهدين أبناءً لفلسطين، الحمد لله الذي اصطفانا من بين أمة محمد في هذا الزمان وهذا المكان؛ لنكون مجاهدين مرابطين على أرض فلسطين، الحمد لله الذي أكرمنا وشرفنا بالجهاد على أرض بيت المقدس، ثم الصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول الله تعالى في سورة النساء آية ٨٤: ﴿ **فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا** ﴾.

ويقول الله تعالى في سورة الأنفال أية ١٧: ﴿ **فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ** ﴾.

أما بعد:

منذ أن تنفستُ هواء الحياة، وكتب الله لي أن أكون فردًا يخطو خطواته الأولى فوق هذه الأرض المباركة، وبدأت أعي ما حولي، وأدرك الأمور، رأيت بلادي الحبيبة مسلوبة الأمن والأمان، يدنسها كل حينٍ محتل ظالم، جمع قطعانه من كل صوب وحدب ليحلوا مكان أهلنا!

سرقوا أرضنا وانتهكوا عرضنا وارتكبوا أبشع المجازر وأكثرها إجراما عبر التاريخ بحق أجدادنا وآبائنا وما زالوا يرتكبون جريمة تلو الجريمة حتى ولدت وكبرت وترعرعت.

ولأن الله شرفني لأكون من أهل مدينة القدس المقدسة، التي يحاول هذا المحتل بكل الطرق والوسائل تهويدها وسرقتها، بل تمادى في أحلامه العبثية وأصبح يريدها أن تكون عاصمته، رأيتُ الإجرام بعينه، ورأيت ما لا يمكن للقلب أن يتحمله وللعقل أن يدركه وللفكر أن ينشغل عنه.

كل ذلك نمّى في داخلي عزيمة وإرادة، وجعلني أستشعر أمانة الدفاع عن أرضي بأي وسيلة أتمكن منها، لذلك عندما كبرت واشتد عودي، وأصبحت قادرًا ومقتدرًا، كان لا بد من أن أفعل شيئًا أرد فيه لوطني اعتباره، وأنصر شعبي وقضيتي ومدينتي، وجعل هذا التفكير

مني مقبلًا غير مدبر، بل كنتُ سباقا له، تواقًا لأن أجعل من نفسي وسيلة لنصرة دين الله وحماية أرضه المباركة، والله من فوق سبع سماوات علم صدق نيتي، فأكرمني بخير مما كنتُ أتوقع وأتخيل، وأجرى على يدي عملياتِ ثأر وانتقام، كلفت العدو الغاشم خسائر بالأرواح، ورعبًا بالنفوس، وفرحة وشفاءً لكل فلسطيني ذاق من جرم هذا المحتل ما ذاق.

وبدلًا من أن أكتب رواية خيالية كالكثير من الكُتَّاب.. أصبحت اليوم من خلف قضبان السجن، أكتب رواية حقيقية مليئة بالأحداث والعبر والحكم، والأهم أنها مليئة بالقوة والتحدي والإرادة.. وإيلام المحتل أيما إيلام.

وهكذا أصبحتُ اليوم أنا.. بطل الرواية.

ولادة الفكرة

في اليوم الرابع من شهر سبتمبر لعام ١٩٨٥، كانت أمي تحملني في أحشائها، تعاني آلام الحمل، وكان أبي ينتظر قدومي إلى هذه الدنيا مستبشراً بولدٍ يسمّيه إسلام، وعلى هذا عقد العزم وتوكل على الله، وفجأة إذ برجلٍ من أهل العراق يصل بلادَنا حاملاً معه رسالةً من بلاده لآل غلّوس، مفادها: «من منكم يُرزق بولدٍ فليسمّه ساجد»، فوضعت أمي حملَها في ذلك اليوم، فأصغى والديّ للرسالة، وأسمياني «ساجد».

نشأتُ في رحابِ القدس، وتفتّحت عيناي في المسجد الأقصى، الذي داوم أهلي على الرّباطِ فيه، وهناك في ساحاتِه تنسّمت هواءَ العشقِ للأقصى، فكان نقطةَ اللقاءِ مع أبناءِ الأعمام، والأصدقاء، إذ كنا نقرأ القرآن، ونلعب في ساحاتِه.

وحينما بلغت سنَّ الخامسةَ عشرةَ، كنت أدرس في إحدى مدارس رام الله، وتزامنًا مع هذه الأيام دخل رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون باحات المسجد الأقصى، والتي على إثرها اندلعت الانتفاضة الثانية انتفاضه الأقصى، والتي كان طابع بدايتها في الأشهر الأولى هو إلقاء الحجارة والزجاجات الحارقة، وبدأ عدد الشهداء يرتفع يومًا بعد يومٍ إلى أن أخذت الانتفاضةُ منحنًى مختلفاً، فبدأت تشهدُ

عمليـاتِ إطـلاقِ نـار، وبعدهـا بمـدةٍ انتقلـت إلـى مرحلـةِ العمليـاتِ الاستشـهادية، وكان لهـذه العمليـات تأثيـرٌ كبيـرٌ فـي قلـوبِ الكثيريـن خاصـة وصايـا الشـهداء، والرسـائل التـي كانـوا يوجهونهـا للأمـة، ولمـن يخلفهـم، وللشّـبابِ المسـلمِ المجاهـد.

لقد كنتُ متابعاً لتفاصيلِ هـذه الانتفاضـة، وأكثـر مـا كنـت أتابعـه هـو لحظـة حـدوث العمليـة وتفاصيلها ونتائجهـا، وهويـة الشـهيد وانتماؤه لأي فصيـل فلسـطيني، ثـم وصيتـه إن كان قد ترك وصية، وبالمناسـبة كانـت وصايـا أغلـب الشـهداء مصـورة بالفيديـو.

وأشـير إلـى أننـي لـم أكـن أنتمـي لأي فصيـل فلسـطيني، حتـى إننـي لـم أكـن أعـرفُ أيديولوجيـةَ، وفكـرَ وتوجـه وأهـدافَ أي فصيـل، فلقـد كنـت تقريبـاً فـي هـذه المرحلـة ابـن السادسـةَ عشـرة.

بـدأت وتيـرةُ الانتفاضـةِ تشـتدُّ، وأعـداد الشـهداء ترتفـع، والعمليـات الاستشـهادية تـزداد، وبـكل قـوة مـن جميـع الفصائـل، ولا سـيما العمليـات النوعيـة لكتائـب الشـهيد عـز الديـن القسـام.

كنـت أذهـب لأصلـي أحيانـاً فـي مسـجدِ البيرة الكبير (مسـجد الشـهداء)، ولقـد تعلقـت بهـذا المسـجد، خاصـة أن هـذا المسـجد، وبعـد انتهـاء كل صـلاة جمعـة، يبـدأ النـاس يحتشـدون ليشـكلوا مظاهـرة تنطلـق نحـو الحواجـز الإسـرائيلية، ففـي البدايـة كنـت أراقـب هـؤلاء الشـبان الذيـن

يوزعـون الأعـلام والرايـات خاصـة الرايـات الخضـراء، وكنـت أسـمع هتافاتِهـم، وأنظر إليهـم إلـى أن يغيبـوا عـن ناظـري، وبعـد عـدة أسـابيع أصبحـت أسـيرُ بينهـم لبعـضِ مئـات الأمتـار، ثـم أتركهـم وأعـود إلـى بيتـي، وبعدهـا بمـدةٍ قلـت لنفسـي: لمـاذا لا أذهـب معهـم لأرى مـا يحـدث عنـد وصولهـم للحاجـز العسـكري، ولأراقـب مـن بعيـد، وفعـلاً أصبحـتُ أذهـب معهـم فـي كل جمعـةٍ تقريبـاً، ولكننـي لـم أشـارك بـأي عمـل مـن إلقـاءِ الحجـارةِ فـي هـذه المرحلـة.

وبقيـت علـى هـذا الحـال لأشـهر عديـدة، ولقـد تركـت المدرسـة فـي هـذا الوقـت تقريبـاً بعـد إنهائـي دراسـة الصـف العاشـر، وذهبـت للعمـلِ مـع والـدي فـي محـل لـلأدوات الصحيـة فـي شـارع القـدس بـرام اللـه، وكـان هـذا الشـارع المـؤدي للمسـجد، والـذي عبـره تمـرُّ جنـازاتُ الشُّـهداءِ التـي سـيُصلى عليهـا فـي المسـجد، وكانـت عينـاي تراقـب جثاميـن الشـهداء مـن رأسِـه لأخمـص قدميـه حتـى تمـرَّ الجنـازة وتغيـب عـن ناظـري، فلقـد مـرّ مـن أمامـي أكثـر مـن مائـة شـهيد خـلال العاميـن والنصـف، فـي الوقـت الـذي كنـت أعمـل بـه فـي دكـانِ والـدي.

وعندمـا كنـت أعـود للبيـت أقلّـب قنـوات التلفـاز بحثـاً عـن وصايـا للشـهداء، كان هـذا أكثـر مـا بـدأ يؤثـر فـيّ إلـى أن حدثـت عمليـة استشـهادية تفجيريـة لفتـاة مـن منطقـة بيـت لحـم واسـمها آيـات الأخـرس، فبكيـت

حينما سمعت وصيتها، وكنت جالساً في غرفتي، وتحسرت على حالي أن فتاة استطاعت أن تقوم بهذا العمل المُشرف، وأنا عاجز عن فعل شيء، خاصة أنني لا أنتمي لأي فصيل، ولا أعرف أحداً يدلّني أو يساعدني في الوصولِ للمجاهدين،

وأيضاً من العمليات الاستشهادية التي تأثرت بها عملية محمد فرحات من غزة لقرب عمره من عمري.

وحدثت عملية على بابِ العامود التي قام بها شاب فلسطيني من الخليل، وأطلق النار من مسدس على شاحنة لشركة الاتصالات الإسرائيلية «بيزك»..

وهكذا امتدت أيام الانتفاضة، وأنا على هذا الحال، وهذا الصراع الداخلي بيني وبين نفسي، إلى أن احتجت السفر يوماً إلى أمريكا، فطلبت مني السفارة الأمريكية ورقة حسن سلوك، وللحصول على هذه الورقة يتوجب عليّ الذهاب إلى مركز التحقيق في القدس (المسكوبية)، وهي مركز للمخابرات والشرطة الإسرائيلية.

وفعلاً ذهبت إلى هناك، وحصلت على الورقة، وبهذه الورقة تعني أنه لا يوجد أي خلفية أمنية أو جنائية يعني أن ملفي الأمني عند دولة الاحتلال نظيف، وهكذا استطعت الحصول على فيزا للسفر لأمريكا من أجل الحصول على الجنسية، والحمد لله حصلت عليها.

وبالعودة للطريق المؤدية لمركز التحقيق المسكوبية، وفي أثناء ذهابي إلى هناك مررتُ بطريق لا تبعد سوى مائتي متر عن مركز المسكوبية، وهي مقابل حي المصرارة في القدس.

وعند مروري بهذه الطريق ماشياً وحدي، وإذ بمستوطنٍ يمرُ بجانبي، فنظرت إليه ونظر إليّ، ومن ثم سار كلٌ منا في طريقه، وهنا بدأت أفكر لو أني حاولت قتله من سيساعده، فلو أحضرت سكيناً وطعنته فهل سأنجح، وظلت فكرة الطَّعنِ تدور برأسي لمدة شهرين، وكنت أفكر في الشَّارعِ نفسِه الذي مررتُ فيه أثناء ذهابي إلى المسكوبية، وسرعان ما غيّرت الفكرة أي فكرة الطعن، فرأيت أنها غير مجدية؛ لأنه من الممكن أن لا أنجح في قتل أحد أو أنّ العملية ستفشل، لذلك بدأت أفكر بشراءِ مسدس، واستخدامه في العملية بدل السكين، فالمسدس يحتوي على أكثر من عشر رصاصات، وفرصة نجاح العملية أكبر، والخيارات عديدة، ولكن كيف سأحصل على المسدس.

وهنا تذكرت صديق من أيام الدراسة حينما كنا في الصف التاسع، واسمه مأمون، وكان هذا الشاب يقول أمام طلاب المدرسة إنه يطمح أن يكون في القوات الخاصة للسلطة الفلسطينية، فعدت بالذاكرة لهذه الجملة، وبدأت أبحث عن هذا الشاب، ومكان سكناه؛

لأني لم أكن أعلم أين يسكن، ووجدت رقم هاتف بيته في دفتر مذكرة صغير كنت قد سجلته في أيام المدارس، ولكن لم أتصل به في حياتي ولو لمرة واحدة، وفي هذه الأيام صار عمري تقريباً سبعة عشر عاماً.

فاتصلتُ به، وسلّمت، وقلت له: هل تتذكرني، أنا ساجد من أيام الدراسة، فقال لي: نعم، أتذكرك فهل أنساك، لقد كنا نجلس على مقعدِ الدّراسةِ في مقدمةِ الصّف. تكلمنا قليلاً، وقلت له: أريد أن أراك، هل أستطيع ذلك؟

قال لي: هل هناك شيء ما، قلت له: ليس بشيء مهم، فقط أريد أن أراك، وفي الحقيقة أنني لا أستطيع أن أطلب منه أو أخبره بشيء عبر الهاتف لأنه مراقب، فرغم أني كنت ابن السابعة عشرة، إلا أنني كنت حذراً من استخدام الهاتف؛ فقط لأني سمعت معلومة واحدة في حياتي وهي أن العدو الصهيوني اغتال الشهيد يحيى عياش عن طريق الهاتف، فبعد اغتيال يحيى عياش صار عامة الناس يقولون: إن الهاتف مراقب، فلذلك أخذت الحذر من هذا الأمر، وبعد الاتفاق مع مأمون على اللقاء، وبعد تحديد مكان معين في مدينة رام الله قرب المسجد الكبير.

التقيت بمأمون، وسلمنا على بعضنا

وسألني مباشرة هل هناك شيء؛ ما الأمر؟

فطلبت منه أن يبقى الأمر بيني وبينه، وأن لا يعلم أحدٌ بذلك،

فقال لي: ماذا هناك؟

قلت له هل تذكر حينما كنا في الصف التاسع، وقلت أمام الطلاب: إن لك علاقة بالسلطة الفلسطينية، وإنك تطمح أن تكون في القوات الخاصة

فقال نعم،

و سألته هل لك علاقة جيدة معهم؟

فأجاب بنعم

فقلت له: أريد مساعدتك في أمر ما

قال ماذا تريد؟

فقلت له: توجد مشكلة بين عائلتي وعائلة أخرى، وأريد منك أن تشتري لي مسدساً حتى أحمي عائلتي، فاستغرب من طلبي؛ ولكني ألححت عليه

فقال لي: هل تعلم كم يكلف سعر المسدس؟

قلت له: كم يُكلّف؟

قال: نحوَ ألف دينار أردني

فأجبته: إنني على استعداد لأدفع ذلك المبلغ من أجل الحصول على المسدس

فقال أمهلني فترة من الزمن، وافترقنا على هذا الأساس...

بالطبع كانت قصة مختلفة بغرض التمويه لا غير.

وبعد أخذي الموافقة من مأمون باستعدادِه لإحضارِ المسدس، بدأت أفكر في تنفيذِ عملية بالمسدس، ولم يكن يخطر ببالي هدف ومكان سوى الطريق الذي مررت به، فمنذ اليوم الأول ولأشهر عديدة أفكر فقط في هذا الطريق، وأتخيل نفسي أمر منه، وأطلق النار على مستوطن وأفرّ عائداً لبيتي، وعلى هذا الحال، كل يوم أضع رأسي على الوسادة، وأفكر بهذه الطريق، وكيف سأطلق النار على المستوطن، ولكن مأمون تأخر ولم يحضر المسدس.

كنت أستيقظ كل يوم في الساعة السابعة صباحاً، وأتجهز للخروج للعمل في مدينة رام الله قادماً من منطقة كفر عقب شمال القدس، والتي تبعد ربع ساعة في السيارة، فكنت أداوم في الدكان

حتى أذان المغرب، وبعدها أعود إلى البيت، ولكن كان لي صديق أو بالأحرى أخ عزيز، **إنه ابن عمي عمار صدقي أبو غلوس**، وهو شاب مميز، لمست فيه الجرأة والإقدام والنَّخوة، ورأيت فيه الشخص المناسب؛ ليشاركني التضحية من أجل هذا الوطن.

فدائماً بعد أن ننتهي من عملنا كنا نتصل ببعضنا، إما من أجل أن نلتقي، أو أن نسلم ونطمئن على بعضنا البعض، فلم يكن يمر يوم إلا ويتصل به أحدنا على الآخر، وفي أحد الأيام قررت أن أخبر عمار بما أنوي فعله، فهو أخي ورفيق دربي، وأثناء تواجدنا في السيارة وحدَنا

أخبرته أنني أنوي أن أنفذ عملية

فسكت هنيهة، وقال وأنا مثلك أفكر في الأمر ذاته، ولكن كيف؟

فأخبرته بالتفاصيل، وأنني أنتظر من صديقي مأمون أن يحضر المسدس

وفعلاً بعد أيام طوال، نجحَ مأمون في الحصول على مسدس (نكل من نوع ١٤)، ودفعنا من مالنا الخاص ثمن ذلك.

وهكذا نجحنا أنا وعمار في الحصول على المسدس، وقُدّر لنا أننا نفكر في الأمر ذاته، ونسعى للهدف نفسه، وهذا من توفيق الله

تعالـى.

لـم نكـن فـي ذلـك الوقـت نـدرك مـا ينتظرنـا، ترانـا هـل سـننجح بترجمـة الفكـرة الوليـدة لحـدث جهـادي حقيقـي، يؤلـم المحتـل، ويهـز كيانـه! أم سـتأخذ الريـاح فكرتنـا مـع أول هبـة قويـة لهـا؟ لا أحـد فينـا يـدرك الغيـب، ولـم نكـن نعلـم حقيقيـة أن مـا سـيحدث بالمسـتقبل القريـب غيـر التوقعـات كلهـا...

العملية الأولى

تمكنا من الحصول على المسدس، وبدأنا حينها بالتخطيط لما سنفعله، وكيف سندخل القدس بسلاحِنا! اتفقنا على يوم محدد، ولكن كان عمار سائق سيارة لتوزيع البضاعة، ولم يستطع أن يتركَ العمل ليأتي على الموعد، فسافرت إلى مدينة القدس وحدي بواسطة سيارات العمومي (الفوردات)، ووصلت إلى الطريق نفسه مقابل حي المصرارة بالقرب من المسكوبية.

أردت حينها أن أقتحم إحدى الدكاكين كي أطلق النار على من بداخلها، ولكن ترددت كثيراً!!! ووقفت على الشارع الرئيسي أنظر حولي باحثاً عن هدف، ولكني لم أنجح وعدت إلى بيتي، وبعدها التقيت بعمار

وأخبرته أنني لم أستطع أن أفعل شيئاً،

وهو أخبرني بصعوبةِ تركه لعمله، والقدوم على الموعد.

واتفقنا مجدداً أن ننزل معًا، وفي اليوم التالي ركبنا سيارات العمومي الفوردات، وسافرنا نحو مدينة القدس، وكنت أحمل المسدس في جيب الجاكيت، وكان عمار يحمل سكيناً، وذهبنا معا إلى الطريق نفسه الذي كنت أفكر به طوال هذه الأشهر، وبحثنا عن صهيوني

يسير وحدَه حتى ننقض عليه، ولكنه لم يأت أحد، فمررنا بالطريق ذهاباً وإياباً عدة مرات، ولم يأت أحد، فدخل اليأس للحظةٍ في قلوبِنا، واقترح عمار أن أبقى أنا في أعلى الشارع، وأن ينزل هو لآخرِ الشارع حتى يرى إن كان سيأتي أحد في هذه الطريق، وأشير إلى أن هذا الطريق الفرعي هو طريق يربط شارعين، وقليلاً ما يمرُ به أحد؛ لأنه يحتوي على مداخل لبيوتِ المستوطنين، وهو واقع في منطقة هادئة وقليلة الحركة، لذلك كنا مصممين على هذا الطريق، وبعد الانتظار طويلاً قررت المغادرة، ونزلت من هذه الطريق باتجاه عمار الذي كان هو يرصد الطرف الآخر منه، وعند وصولي منتصف الطريق إذا بسيارة تدخل وتمر من هذا الطريق، فتجاوزتني السيارة، وهي تسير ببطء شديد لأن الشارعَ ضيقٌ، وبعد أن تجاوزتني وابتعدت عني، التفت خلفي أسترق النظر أين ستذهب، وإذا بالسائق يحاول أن يركن السيارة بجانب الرصيف، وفي أثناء محاولته ركن السيارة عدت ولحقت بالسيارة، وبعد وقوف السيارة فتح السائق الباب، ولكنه لم ينزل بل وضع رجله اليسرى فقط خارج السيارة يريد أن يخرج، وكان ينظر إلى يمينه لمن كان يجلس بجانبه، فأخرجت المسدس من جيب الجاكيت، وكنت قد سحبت الأقسام مسبقاً، - أي أن الحبة في بيت النار - والمسدس جاهز للاستخدام، فجئت مسرعاً من خلف السيارة وتقدمت حتى وقفت عند باب السائق أي

إلى يساره، وتمركزت تمركز من يريد أن يطلق النار من مسدس، فالتفت إليّ ونظرنا لبعضنا لجزءٍ من الثانية..

وبقدرة الله أطلقت رصاصة واحدة صوب رأسه، فرأيت رأسه ينثقب، وارتطم رأسه بسرعة البرق على مسندة الكرسي فاقداً لوعيه، فحاول من كان يجلس على يمين السائق أن يفتح باب السيارة ليهرب فأطلقت رصاصة صوب رأسه فارتطم رأسه بالطريقة نفسها وفقد وعيه.

فوضعت المسدس في جيب الجاكيت، وركضت مسرعاً إلى آخر الطريق، حيث كان عمار يقف هناك راصداً الموقع، فأمسكني عمار، وقال لي: اهدأ لقد سمعت إطلاق النار، فقد كنتُ في حالة ارتباك شديد لم أشعر بها من قبل، فاستمر عمار في تهدئتي

وقال لي: «خلفنا سيارة جمس مليئة بالقوات الشرطية»،

وأمسك بيدي، وقطعنا الشارع الرئيسي مقابل حي المصرارة متجهين نحو شارع صلاح الدين الأيوبي، وعند وصولنا ركبنا سيارة فورد عمومي عائدين نحو منطقة كفر عقب.

لم تكن الدنيا لتسعنا فرحاً، ونحن عائدانِ من صيدنا الثمين.. وشعرنا للحظة أننا ثأرنا لشهدائنا الأبرار الذين طالما شيعناهم بدموعنا وبالقهر والألم..

وأحسسنا بمعنى قول الله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾

فاليوم سيبكي أعداؤنا دماً.. مشاعر لا توصف ... وكانت هذه الطلقات الأولى في مسيرتِنا، وعند وصولنا إلى بيوتنا فتحنا التلفاز، وقلبنا القنوات الإسرائيلية والفلسطينية، ولكننا لم نجد أي خبر، وإذ بقناة الجزيرة تكتب على شريطِها الإخباري، وتفيد بإصابة مستوطنيْنِ اثنين بجروحٍ بالغةٍ إثر إطلاق النار عليهما من قبل قناص، وفي الحقيقة نحن لسنا قناصيْنِ أو بالأحرى غيرَ مدربين على السّلاحِ.

وهكذا انتهت العملية الأولى بتوفيقٍ رباني، فكانت هذه العملية بتاريخ ١٣ مارس ٢٠٠٣، وقُتل بها ضابط مخابرات وأُصيب الآخر بشللٍ كامل حسب رواية العدو.

وقد صادفت هذه العملية اغتيال القائد إبراهيم المقادمة الذي استشهد بتاريخ ٨ مارس ٢٠٠٢ وكأنها جاءت رداً عليه.

ومن كرامات هذه العملية أنني لم أتدرب على السلاح في حياتي، وحتى يومي هذا، لا أعرف كيف أنظف أو أفك أو أركب السّلاح، ولقد أطلقت رصاصة واحدة فقط في سماءٍ منطقة كفر عقب حتى أجربَ فعل السلاح، وكانت الرصاصة الثانية التي أطلقها في رأس

ضابط مخابرات، فالمفاجأة الكبرى أن الرجلين اللذين كانا بالسيارة ضابطان كبيران بالمخابرات!

وأيضاً من الكرامات أن السائق استطاع سحب مسدسه، ولكن لطف الله شاء أن أطلق عليه النار قبل أن يطلق هو، فسبقته قبل أن يسبقني، أي قتلته قبل أن يقتلني، والأعظم من هذا أن المسدسَ تعطل بعد الرصاصة الثانية، أي أنه لم يسحب الأقسام ليُدخلَ الرصاصةَ الثالثة في بيتِ النار، رغم أني لم أكن أريد استخدامها، فكيف لو تعطل عند الرصاصة الأولى، فسبحان الله وبحمدِه.

مسدس جديد

كنا نحب حركة حماس ونناصرُها، فأفعالها أثّرت بنا، وخطاباتها سيطرت على قلوبنا، ولقد كان أحب قائد فلسطيني حمساوي على قلبي هو **الدكتور عبد العزيز الرنتيسي**، فهو القائد الوحيد الذي أبكاني باستشهاده.

أما بائع المسدس فقد طلب استعادته لأسباب أمنية تخصّه، وضغط علينا، مما اضطرنا لبيعه، وهكذا بقينا من غير سلاح.

توقفنا عن العمل لأشهر عديدة، ولكن العقول لم تتوقف عن التَّفكيرِ بالمضي قدماً بمسيرةِ الجهادِ، فالاحتلال يُبدع بقتلِ أبناءِ شعبنا، ونحن كأبناء القدس عاجزون ننظر لأفعال العدو ولا نحرك ساكناً.

كان جُلّ تفكيرنا أنا وعمار هو تقييم العملية، فخرجنا بخلاصة، وهي أن العمل يجب أن يكون كرّ وفرّ، نضرب ضربة ونفرّ عائدين، أي نطلق رصاصةً واحدة فقط، فبدأنا نفكر في كيفية الحصول على كاتمِ صوت، فإن حصلنا على كاتمِ صوت، نستطيع قتلَ أكبر عددٍ بكل سهولة، ومن ثم ننسحب من المكانِ.

حاولنا التَّواصل مع أناس علاقاتنا بهم ليست جيدة، ولكن الحاجة دفعتنا للتواصلِ معهم، كان هناك شخص اسمه علي، والآخر يلقب بأبي سمرة من منطقة جبع، فطلبنا منهما مسدسا وكاتما للصوتِ، فمرة يحضرانِ مسدسا صغيرا جداً، ومن غيرِ ذخيرة وغير فعال، ومرة يحضرانِ لنا شيئاً يُسمى كاتماً، ولكنه ليس بكاتمٍ، الأمر الذي جعلنا نخسر كثيرا من أموالنا في تعاملنا معهما، فلقد اشترينا مسدسينِ، وما يسمى كاتماً، ولكنه لا يناسب أحدُهما الآخر، أي لا نستطيع تركيب الكاتم على المسدس، فبعنا المسدسين لكونهما لا يعملان وأرجعنا الكاتم، ولم نستطع إرجاع ثمنه، وهكذا عدنا للحالة التي كنا عليها لا سلاح ولا غيره.

أيضاً من الأمور التي كنا بحاجة لها هو شراء سيارة لنا، ولكن الوضع المالي أو المادي لا يسمح لنا بذلك.

وبعد عشرة أشهر تقريباً التقيت بشابٍ اسمه لؤي يونس الكرنز

أصله من مخيم العروب، ويسكن منطقة الإرسال في رام الله، لؤي كان صديقي أيام الدراسة، التقينا في الصفِ السابع، وعلى مقعد الدراسة نفسه، ومن ثم افترقنا والتقينا مرة أخرى في الصف العاشر، وعلى الدرج نفسه..

وفي كلتا الحالتين في مدرستين مختلفتين، ومن ثم افترقنا، وعدنا التقينا في بداية عام ٢٠٠٤ تقريباً، وحينها كان لؤي في السنة الأولى الجامعية، وكنت أنا أعمل في دكان للأدوات الصحية، التقينا في مدينةِ رام الله، وكنا نناقش كثيراً ما يحدث لأبناء شعبنا من جرائم الاحتلال، وكنا نتكلم كثيراً عن العملِ المقاوم، ولم يكن لؤي حينها يعلم بما فعلناه أنا وعمار، فلؤي حتى هذه اللحظة لا يعرف عمار، وفي أثناء كلامنا عن العملِ المقاوم أخذ حديثنا يأخذ نحو أنواع الأسلحة والمسدسات وغيره،

فسألت لؤي هل عندك القدرة على توفير مسدس

فأخبرني أنه يستطيع وبسهولة، ولكن الثَّمنَ باهظٌ يصل إلى ١٥٠٠ دينار أردني

فوافقت على شراءِ المسدس بعد التَّشاورِ مع عمار، ودون علم لؤي بعلاقتي مع عمار...

فعلاً أياماً معدودة وإذا بلؤي يشتري لنا مسدسا من نوع ١٦ ولونه

أسـود جديـد.

ومن فرحتنا خرجنا لإحدى جبال رام الله، وأطلقنا النار على الصخـور كـي نتدرب على استخدامه، ولكن ما زلنا بحاجة لكاتم صوت، وحاول لـؤي أن يبحث عـن كاتـم، ولكنـه لـم يجـد.

فبعـد أن يئِسـنا فـي الحصـول علـى كاتـمِ صـوت، قررنـا أن نصنعـه بأنفسـنا، فحاولنـا ولكنـا لـم نسـتطع أن نركبَـه علـى المسـدس.

ولكـن فرحتنـا بـه كانـت كبيـرة، فقـد أصبـح الآن بيـن يدينـا سـلاحنا الفتـاك، وأملنـا بتنفيـذ عمليـات نثـأر فيهـا لديـن اللـه ووطننـا ولدمـاء الشـهداء.. كان المسـدس هديـة السـماء التـي لا تقـدر بثمـن، والوسـيلة التـي سـتعمق جـراح المحتـل علـى يدينـا.

العملية الثانية

في أحد الأيام كنتُ أنا وعمار نسير في السيارةِ التي يعمل عليها، وكان معنا ركاب في منطقة أبو غوش، وإذا بمستوطن يشير لنا بيده كي نتوقفَ حتى يركبَ معنا لنوصلَه في طريقِنا، ولكننا صرخنا عليه، ولم نأخذه معنا لوجود أشخاص غريبين في السيارة.

ولكن بسبب هذا الحدث وهذا المستوطن خطرت لي فكرة، فبدلاً من تصنيع كاتم أو شرائه، نعمل على إحضار سيارة، ومن ثم نعمل جاهدين على صعودِ مستوطن إليها، ويكون أحدنا السائق، والآخر بجلس بجانبه يحمل معه المسدس، فيما يصعد المستوطن إلى الكرسي الخلفي، ونكون قد أغلقنا شبابيك السيارة مسبقاً، ونرفع صوت الراديو على أغاني عبرية، وبعد أن نسيرَ في السيارةِ لوقتٍ معين ومناسب حيث لا تكون سيارات بجانبنا، يقوم من يجلس بجانب السائق بالالتفافِ إلى الخلف مشيراً بالمسدسِ نحو المستوطن وإطلاق النار عليه داخل السيارة، وهكذا لا يسمع أحد صوت إطلاق النار، وبعدها نُلقي الجثة في مكان بعيد عن أعين الناس، وأعين الكاميرات.

هذه الفكرة التي بدأت تطفو على السطح، وكان جُل تفكيرنا ووقتنا يصبو نحوها، وبدأنا نسعى لشراء سيارة رخيصة تناسب وضعنا

المادي، فاشترينا سيارة من نوع فورد فيستا صغيرة الحجم رخيصة السعر ثمنها ٢٥٠٠ شيقل، وهي تملك أوراق التأمين، ولكن بدون ترخيص.

فالمهم أنها كانت تسير على الشارع، وسريعة نوعاً ما، وتوفر لنا وسيلة لتنفيذ عملية والانسحاب منها.

وبعد أن امتلكنا سيارة ومسدساً صرنا ننهي عملنا عند أذانِ المغرب، وبعدها نلتقي ونحن بملابسِ العمل؛ لأنه لم يكن لدينا وقت للاستحمام وتغيير ملابسنا، فكنا نخرج بحثاً على صيد ثمين، فخرجنا لمنطقة قريبة من دير ياسين يسمونها حفعان شاؤول أي تلة شاؤول، وعند وصولنا إلى إشارة المرور الرئيسية، وعلى مفترق رئيسي لعدة شوارع، والذي يطل على شارع رقم ١، الشارع الثوري لتل أبيب، أشار لنا بعض المستوطنين بأيديهم يريدون أن يركبوا، فكان وقتها عمار هو السائق، وكنت أجلس بجانبه والمسدس تحت الكرسي، وكان عمار هو من يتولى الحديث معهم؛ لإتقانه العبرية، فجاء مستوطن، وتكلم مع عمار يريد توصيلة،

<u>فقال له عمار:</u> تفضل سوف أوصلك

ولكن سرعان ما تجهز المستوطنون حول السيارة مثل الغنم يريدون أن يركبوا وكانوا كُثر، والسيارة يوجد بها متّسع لثلاثة ركاب غيرنا.

بدأوا بالكلامِ فيما بينهم ولكنهم قالوا لنا لا نريد أن نركبَ معكم، وكوننا نقف في مكانٍ موقف الباصاتِ، وعلى شارع رقم ١ الرئيسي، فإننا لا نستطيع الوقوف طويلاً، فغادرنا ولم نوَفَّق بصعود أحد المستوطنين، حاولنا مرة أخرى فجاء مستوطن، وتكلم مع عمار، ولكن سرعان ما تراجع المستوطن، فيبدو من شكلنا أننا عمالٌ عرب؛ لأن ملابسنا غير نظيفة، ومُرهقان من أشغالنا اليومية، فحاول عمار مرة أخرى، وأدار السيارة عائداً للمحطة الأولى نفسها على أملِ أن يركبَ أحد المستوطنين، ومرة ثالثة فشلنا، فتأخر الوقت ودقت الساعة العاشرة مساءً، وأثناء عودتنا قرب التلة الفرنسية، وإذا بعمالٍ فلسطينيين يشيرون لنا للركوب معنا؛ ليعودوا لمخيم شعفاط، فأركبناهم معنا رغم أنها ليست طريق عودتنا، وأوصلناهم لمخيمِ شعفاط، وبعد أن أوصلناهم قلنا لبعضنا سبحان الله أكثر من ثلاث ساعات نحاول أن يصعدَ مستوطن في السيارة، وقطعنا كل تلك المسافات حتى نوصل عمالا فلسطينيين من أجل القدس من مخيم شعفاط لبيوتِهم، وبعد أن أوصلناهم ونحن في طريق العودة مررنا بطريقٍ فرعية قريبة من النقطة التي أخذنا منها العمال الفلسطينيين بين جبلين، كان يقف مستوطن وحدَه، ومعه عدة حقائب، فأشار لنا بيده، ومن سرعتنا توقفنا على بعد ١٠٠ متر عنه، وفي هذه اللحظة تشاورنا هل نتوكل على الله، ونصعده للسيارة،

فاتفقنا وكان الحديث لثوانٍ معدودة.

فرجع عمار بالسيارةِ إلى الوراء، وجاء المستوطن راكضاً، فنظر عمار في المرآة

وقال: يا الله جاي على الموت برجليه

وحينما وصلنا له، ووصل إلينا فتحت الشباك، وتكلم مع عمار ولكن قبل أن يسأله عمار إلى أين أنت ذاهب؟

سبقنا هو بسؤاله إلى أين أنتم ذاهبون

فكانت وجهتنا إلى عطاروت، ونحن لا نعلم أين سيذهب هذا المنحوس

فقال له عمار إلى عطاروت

فنظر إلينا نظرة تفحص، ويبدو أن حالتنا المزرية طردت جميع الزبائن من المستوطنين، فلم يركب أحد ورفض هذا المنحوس الركوب ونجا بحياته، هكذا أنهينا ليلة طويلة تُوّجَت بوصولِ العمال الفلسطينيين لبيوتهم، فالله نسأل الأجر والثواب.

وأشير إلى السبب الذي منعنا من قتل هذا المستوطن هو تواجده في شارع فرعي، ولكنه يُطلّ على شارعٍ رئيسي، وكان يوجد حاجز عسكري على بعد ٣٠٠ متر تقريباً، لذلك لم نطلق النار عليه في

الشـارع؛ لأن الخطـة أن يتـم صعـوده للسـيارة وإطـلاق النـار داخـل السـيارة (بـدل الكاتـم).

كل هـذه الصعوبـات هـي سـبب عـدم حصولنـا علـى الكاتـم، فلـو كان معنـا كاتـم لاسـتطعنا حينهـا قتـل الكثيـر مـن الصهاينـة ودون كل هـذا التـردد. فكيـف لـو كان السـلاح أم ١٦ مـع كاتـم؟!

وبعـد مـرور عـام كامـل تقريبـاً علـى تنفيـذ العمليـة الأولـى، ومحاولاتنـا الحصـول علـى كاتـم، ومحـاولات اسـتخدام السـيارة كبديـل للكاتـم، وعـدم نجاحنـا فـي صعـود المسـتوطنين لسـيارتنا.

أخـذ تفكيرنـا منحنـى التَّسـرع، أي أنـه يجـب تنفيـذ عمليـة بـأي شـكل مـن الأشـكال، فنحـن نملـك المسـدس، ولكـن لا يوجـد سـيارة معنـا فـي الوقـت الحالـي لحـدوث عُطـل مـا فـي سـيارتنا التـي اشـتريناها.

تواصلنـا أنـا وعمـار، وناقشـنا موضـوع الحصـول علـى سـيارة، فاقتـرح عمـار أن يحـاولَ أن يسـتأجرَ سـيارة لسـاعات أو عـدة أيـام؛ كـي نسـتخدمها فـي العمليـة، والسـبب هـو وضعنـا المـادي الـذي لا يسـمح بشـراء سـيارة جديـدة، وأن العطـلَ لسـيارتِنا يحتـاج وقتـاً لتصليحِـه ونحـن لا نريـد الانتظـار، فذهـب عمـار وحـده لشـركات تأجيـر سـيارات عديـدة فـي رام اللـه والقـدس محـاولاً الحصـول علـى سـيارة.

ولكن الأمور باءت بالفشل، فبعد عجزنا عن الحصول على سيارة اقترحت على عمار أن آخذ سيارة عائلتي التي يوزعون بها البضاعة، وهي سيارة فورد كبينة واحدة يركبها ثلاثة أشخاص فقط السائق وبجانبه اثنان، وباقي السيارة كصندوق للبضاعة، وهي تشبه في مقدمتها سيارة الفورد العمومي فهي من النوع نفسه.

أخذت السيارة أو بالأحرى سرقتها، دون علم العائلة وخرجنا أنا وعمار إلى منطقة تل بيوت، وكنت أنا السائق في هذه المرة كوني حصلت على رخصة قيادة جديدة، وكان عمار يحمل المسدس من أجل تنفيذ عملية إطلاق نار في أحد أحياء منطقة تل بيوت، وفعلاً وصلنا هناك بسيارة الفورد، والتي تثير الكثير من الريبة والشكوك كونها مثل الشاحنة الصغيرة، فتنقلنا بين أحياء وطرقات المستوطنة عبوراً بجبل أبو غنيم المقام عليه مستوطنة «هار حُما»، ما تعني «جبل الجدار» على أمل أن نجد مستوطنا يسير وحده فلم نجد؛ لأننا خرجنا بعد صلاة العصر تقريباً، واستمرينا على هذا الحال في البحث عن مستوطن منفرد، ولكننا لم نوفق، واقترب الموعد من أذان المغرب، فذهبنا إلى منطقة وادي الحمص بالقرب من جبل المكبر لنصلي صلاة المغرب، وتركنا المسدس في السيارة، وبعد إنهائنا صلاة المغرب عدنا للسيارة، وطلبت من عمار قيادة السيارة بدلاً مني، فلقد تعبت من قيادة السيارة خاصة أني جديد على

القيادة، وعمار لديه خبرة عالية في قيادة السيارات، فوافق عمار رغم تشوقه لإطلاق النار على مستوطن، فعدنا نتجول في أنحاء المستوطنات في مستوطنة اسمها «أرمون هنسيف»، ولكن مع تكرارنا العبور في الطرقات نفسها لفت ذلك انتباه المستوطنين، وكانت أعينهم تلاحقنا حتى ابتعدنا عنهم، ووصلنا إلى منطقة في قلب المستوطنة، وكان مستوطن قد ركن دراجته النارية، فنزلت من السيارة وتبعته، ولكني ابتعدت كثيراً عن السيارة، فوضعت يدي بداخل الجاكيت وأمسكت بالمسدس أريد إخراجه لأطلق النار، وإذ بمستوطن آخر يظهر في المنطقة فتراجعت عن ذلك وعدت للسيارة، وركبت مع عمار في محاولة أخرى؛ للبحث عن شخص منفرد عن المستوطنين.

أسدل الليلُ ستارَه ونحن على هذا الحال ننتقل من حي لحي، ومن شارعٍ لشارع، وإذا بنا نرى سيارةً تقف في موقف السيارات، وتوجد بها حركة أي أنه يوجد شخص ما، فأوقف عمار سيارتنا، ونزلت من السيارةِ مقترباً من سيارةِ المستوطنِ، وعند وصولي لسيارتِه إذا بها أربعة مستوطنين، فنظرت إليهم لثوانٍ معدودة وإذا بسيارة تمر من هذا الشارع، فانسحبت وعدت لسيارتنا وكان عمار يراقب ويشاهد كل حركة في المنطقة، وتشاورنا مرة أخرى ماذا نفعل..

لقد تأخرنا كثيراً، والسيارة ليست لنا؛ بل سيارة العائلة ويجب إرجاعها، فقام عمار بمحاولةِ أخيرة، وأوقف السيارة في مكانٍ آخر، وكان يسير به أب وابنه، فنزلت من السيارة، ولحقت بهما، وعند اقترابي منهما اكتشفت أن الطفل يبلغ من العمر عشرة أعوام تقريباً، وكان الأب يعطف عليه، فلم أفكر إطلاقا بإطلاق النار عليهما، وعدت أدراجي إلى السيارة يائساً من عدم نجاحنا، فقررنا العودة لبيوتِنا، وأثناء عودتنا كانت آخر مستوطنة في طريقنا حي التلة الفرنسية، وكنا أنا وعمار طوال الطريق صامتينِ لا نتكلم من التَّعبِ واليأس؛ لعدم نجاحنا، وقبل الوصول لمدخل التلة الفرنسية

قال عمار: ما رأيك أن نجربَ آخر محاولة، فقط محاولة واحدة، وإن لم ننجح نعود أدراجنا

فقلت له: موافق توكل على الله

وفعلاً دخل عمار مدخل حي التلة الفرنسية، ودخلنا قلبها ما بين البيوت الهادئة، وإذا بجندي يحمل بندقية أم ١٦ يقطع الشارع من جهتي إلى جهة عمار

فقال عمار هذه فرحتنا

فطلبت من عمار أن يلتف بالسيارة على شكل حذوة فرس، حتى يكونَ الجندي من جهتي؛ لأني أجلس بجانب عمار، وحتى تكون

المسافة بيني وبين الجندي قصيرة، وحتى أستطيعَ العودةَ إلى السيارة بسرعة؛ لأني كنت أنوي النزولَ من السيارةِ، وهذا ما كان

وعندما التف عمار بالسيارة، وعدنا إلى الطريق نفسه اختفى الجندي وكأن الأرض انشقت وابتلعته، وإذ بشاب يهرول باتجاهنا وقريب من المكان الذي كان فيه الجندي

فقلت لعمار: هذا هو!

فأوقف عمار السيارة في وسط الشارع، وكانت سيارة مستوطن، وبها أحد المستوطنين يقف أمام بيته، ولم نشاهده في هذه اللحظة، ونزلت من السيارةِ أسير خلف هذا الإسرائيلي الذي يهرول، وصار بيني وبينه مسافة ٣٠ متراً تقريباً، فركضت مسرعاً خلفه كي أقلّصَ المسافة، ولكنه ما زال يبعد عني أكثر من عشرة أمتار، ولقد ابتعدت عن السيارة كثيراً، وفي هذه المرة لم أتردد وليحدث ما يحدث، فأخرجت المسدس وأطلقت عليه أربع رصاصات إلى أن سقط أرضاً، وعدت مسرعاً إلى السيارة حيث ينتظرني عمار، فركبت وإذا بعمار يقود هذه الشاحنة الصغيرة، وخرجنا من قلب المستوطنة كلمح البصر، عائدين إلى بيتينا، فرحين بنصر الله، معتقدين أن العمليةَ قد انتهت بسلام، ولكن لم يخطر ببالنا ما هو بانتظارنا، فعندما اقتربنا من حاجزِ الرام عائدين من القدس إلى

منطقة كفر عقب، وقبل وصولِنا الحاجز بمائة متر رأينا بأم أعيننا كيف وصلت المعلومة لحاجزِ الرام، فطبيعة عمل حاجز الرام أنه يفتّشُ السياراتِ القادمةَ من منطقةِ رام الله وكفر عقب وقلنديا، ولا يفتش أي سيارة عائدة من القدس، وقبل وصولِنا الحاجز بأمتار عديدة، أغلق الجنودُ الحاجزَ من الجهةِ التي يعبر منها السيارات من جهة قلنديا وكفر عقب، ووضعوا الحواجز في الطريق، وقفز كل الجنود إلى جهتِنا، وبدأوا بإيقافِ سيارة فورد عمومي كانت تسير أمامنا، ومن ثم أوقفوا سيارتنا، وبعدنا أوقفوا كل أنواع سيارات الفورد العمومي خاصة القادمة من القدس باتجاه كفر عقب.

وفي الحقيقة شعرنا بذعرٍ كبيرٍ، وقلنا معًا يبدو أنهم نالوا منا وسيقبضون علينا، فنظرت من نافذة السيارةِ، وإذا بعامة الناس ينزلون من سياراتِ الفوردات، ويسيرون على أقدامِهم؛ ليقطعوا الحاجز، والجنود لا يتكلمون معهم، والفحص فقط عبر الكلام مع السائقين.

ما أود أن أقوله أو أوضحه أن المعلومة التي وصلت الجنود كانت حول سيارة فورد، ولم يتم تحديد شكل هذه السيارة أو لونها، فلقد تم إيقاف أكثر من ٢٠ سيارة، فورد وكلها متشابهة إلا سيارتنا، فهي سيارة فورد ذات كبينة واحدة مثل الشاحنة الصغيرة، فلو أن

المعلومة كانت أكثر دقة لعرفوا مباشرة أننا نحن، ولكن المعلومة عندهم سيارة فورد فقط، والدليل على ذلك أنهم تركوا جميع أنواع السيارات تمر ودون أي فحص ما عدا سيارات الفوردات.

حدث نقاش سريع بيني وبين عمار على أن أنزلَ من السيارةِ وآخذ المسدس معي، وأختلط بعامة الناس، ويبقى عمار فيها ولكن كان الرأي على أن نبقى معًا، وهذا ما كان، وفجأة جاء أحد الجنود على الحاجز، واتجه نحو شباك عمار كونه السائق

وتكلم معه وسأله: من أين جئتم

قال له عمار: جئنا من منطقة شعفاط

وهذا يعني أننا لم نمر بالتلة الفرنسية؛ لأن شعفاط أقرب لمنطقة كفر عقب من التلة الفرنسية، وهكذا يُبعد عمار الشبهة عنا، وفعلاً اقتنع الجندي

وقال لنا: حسناً هيا انطلقا وسافِرا من هنا

وما أن تنفسنا الصعداء لثوانٍ معدودة حيث حاول عمار إرجاع السيارة للخلف قليلاً حتى يستطيعَ الانطلاقَ؛ بسبب تكدس عدد الفوردات، وإذا بسيارة شرطة من نوع هوندا باص صغير يقترب من سيارتنا من الخلف، وتمنع عمار من إرجاعِ السيارة، وهكذا علقنا بين سيارةِ

فورد أمامنا، وسيارة الهوندا سيارة الشرطة، وبدأ سائق سيارة الشرطة ينادي بالسماعة توقف.. توقف مكانك

فقلنا أنا وعمار: والله تم القبض علينا، يبدو أن المعلومة الدقيقة وصلتهم عن السيارة، فنزل من سيارةِ الشرطة ضابطٌ كبيرٌ، وجاء وتكلم فقط معنا من دون جميع السيارات، ولم يختر إلا سيارتنا، فجاء من جهة عمار

وقال له: أطفئ السيارة، وأخذ المفتاح وذهب إلى سيارته وأحضر سلاحه (M١٦)، ثم رجع وفتح باب سيارتنا من جهة عمار

وقال لعمار: انزل من السيارة

ثم نادى جندياً من جنودِ الحاجز، وأمره أن يفتش عمار ثم ترك هذا الضابط عمار، وجاء إلى جهتي

وقال لي: اخرج من السيارة

فخرجت ووقفت وجهي لوجهه، وكنت ألبس جاكيت خفيفة، وكان المسدس على خصري من الخلف، ويد المسدس فقط خارج من البنطال، والجاكيت يغطي يد المسدس، ومباشرة وضع الضابط يداه على كتفي وعلى صدري ليفتشني، فدعوت الله دعوة سريعة من قلبي

وقلت: «اللهم اجعل من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً»..

وفي لحظتها ألهمني الله أن أضعَ يديّ على بطني من الأمام، وأرفعَ عن بطني ليُكشف لحمي، فرفعت البلوزة حتى صدري وكأن هذه الحركة أعطت الضابط إشارة بعدم وجود شيء، فوضع يداه وطوّق خصري، ولكن بمشيئة الله بقيت يداه بعيدتين عن يدِ المسدس ولم يلمسه، وبعد أن وضعَ يداه حول خصري أنزل يداه إلى فخدي ومن ثم أسفل رجلي... والحمد لله لم يجد شيئاً... ولكن هذا الضابط مصممٌ أنه يوجد شيء ما في هذه السيارة، وبدأ يفتش السيارة، وكان الجنود منشغلون في تفتيشِ عمار واستجوابه، وبعد عشر دقائق أرجع الضابط مفتاح السيارة لعمار.

وقال له هيا سافِرا

وانطلقا من المكان وصعدنا إلى السيارةِ، وانطلقنا صوب كفر عقب، وبدأنا نكبّر ونهلل داخل السيارة من فرحتنا أن أنجانا الله من بين أيديهم.

ولكن يوجد أيضاً حاجز ثانٍ اسمه حاجز قلنديا؛ لأنه على أطراف مخيم قلنديا، وعند وصولِنا الحاجز كان مزدحماً بالسيارات والمارة، فتشاورنا أنا وعمار أن أبقى في السيارة أم أنزل مع عامة الناس وآخذ المسدس معي، فكان الرأي هذه المرة على مغادرتي السيارة،

وأخذ المسدس وأن يهتم عمار بموضوع السيارة، وفعلاً نزلت من السيارة ومشيت بين الناس حتى أعبر الحاجز، وبتوفيق الله عبرت بسلام، وبعد عبوري الحاجز بثلاث دقائق، تم إغلاق الحاجز من جهة السيارات، وهكذا علق عمار مع السيارة على الحاجز، وأصبحت أنا في منطقة كفر عقب واستأجرت تاكسي عمومي، وذهبت إلى مدينة رام الله، والتقيت بصديقي لؤي، وأعطيته المسدس، وطلبت منه أن يخبئه عنده، وأخبرته بما حصل معنا.

وبينما كنت أنتظر عمار العالق على حاجز قلنديا مع سيارة العائلة.

بدأ الإعلام يتكلم عن قتل مستوطن في التلة الفرنسية ويتداول الخبر، وبعد ساعتين تقريباً نجح عمار بالعبور عبر الحاجز بعد أن تم فتحُه، وجاء لمدينة رام الله، والتقينا هناك وعدنا لبيتينا.

العملية الثالثة

حصل لقاء بين عمار ولؤي، وتعرف كل منهما على الآخر، فعمار كان يعرف أن لي علاقة بصديق اسمه لؤي، وقد علم بالأمر عند تشاورنا لشراء مسدس ١٦ الذي اشتراه لؤي لنا، والذي نفذنا العملية الثانية به.

وبعد إخفاء المسدس عند لؤي أصبح لؤي يعرف تفاصيل عملنا، ولقد أخبرته بكل تفاصيل عملياتنا، وهكذا صرنا ثلاثة أعضاء في الخلية ساجد وعمار ولؤي، فلقد انضم لنا لؤي بعد عشرة أشهر تقريباً على العملية الأولى.

وبعد عدة أيام على هذه العملية عملنا جاهدين للحصول على السيارة التي اشتريناها بعد تعطلها.

وتم ذلك، ثم بدأنا نفكر في كيفيةِ معالجةِ عملية الانسحاب وعودتنا عبر الحواجز، ففي الحقيقةِ نحن لا نملك الخبرة الأمنية والعسكرية، ولكننا نتبنى مبدأ الشورى فيما بيننا، ونفكر بتفكيرِنا البسيط ونخطط، ولكن التخطيط لم يكن يتجاوز النقاش والكلام، ومن ثم نطبق ما تناولناه من نقاش، فاتفقنا قبل تنفيذ أي عملية بالعملِ على إخراجِ السيارة خارج حاجز قلنديا، وإخفاء المسدس بداخل السيارة، وألا يتم إدخال السيارة بتاتاً عبر حاجز قلنديا، وكذلك المسدس.

وبعد أسبوع من هذه العملية قررنا أنا وعمار الذهاب للصلاة في المسجد الأقصى، وكان التوتر يسود أغلب المناطق والمواجهات مندلعة، وعند وصولنا إلى باب العمود متجهين نحو المسجد الأقصى، قامت قوات الشرطة بمنعنا من دخول البلدة القديمة ومنعت جميع الشبان، فكان القرار بعدم السماحِ لمن هم دون الخمسين عاماً بالدخول للصلاة.

وعند دخولِ موعد الصلاة صلينا عند باب العامود في المصرارة، وقام أحد الشبان ليخطب ويصلي بنا، وكان لسان الخطيب جارحاً ومحرضاً ضد الاحتلال وأعوانه، فكانت قوات الشرطة تتنصت لما يقول، وتركونا حتى أنهينا الصلاة، وإذا بقواتِ الخيالة والشرطة تطارد الخطيب؛ من أجل اعتقاله، وحاول الشبان أن يساعدوا الخطيب كي لا يُعتقل، وإذا بمنادٍ ينادي في الناس أن احموا الخطيب، فما كان مني إلا أن بحثت عن حجرٍ لأضربَ به أحد الخيالة، فوجدت سلة مهملات نظرت داخلها، وإذا بزجاجة عصير مصنوعة من الزجاج، فأخذتها ولحقت بالخيَّال، فالتفت إلي وهو على ظهر الخيل فرأى الزجاجة في يدي فرميتها عليه، وانكسرت تحت أرجل الخيل، فترك الخيَّال الخطيب، وبدأ يلاحقني على الخيل مستخدماً الجهاز اللاسلكي كي يحشدَ القوات، وهذا ما حدث فقد بدأت القوات تطاردني على الخيلِ، وقوات المشاة والراجلة أيضاً، فحاولت الهروب منهم،

ودخلت بين تجمع الشبان الذين أنهوا الصلاة، ولا أعلم كيف ألهمني الله أن أخلعَ بلوزتي الشتوية، وأرميها على إحدى البسطات، وإذا بمنادٍ ينادي أن أدخلَ إلى أحدِ المحلات، وكانت الحشود كبيرةً، فلبّيت النداء، ودخلت أحد المحلات، والمفاجأة أنالمحل الذي دخلت إليه كان صاحبه يقفله، ولم تبقَ إلا دقة باب واحد ويتم إغلاق الباب بالكامل، فدخلت بدون إذن وقام صاحب المحل بإغلاق الباب عليّ، وبعد دقائق عديدة جاء عمار وأخرجني من الدكان

وقال لي: لقد ذهبوا... هيا اخرج

وخرجت وعدت مع عمار إلى البيت

فقال لي عمار: كيف تقوم بعمل كهذا؟، ألا تتذكر أننا قتلنا؟ والآن ترمي عليهم زجاجة

قلت له: والله دبّت الحمية والنخوة، وأعدك أنني لن أفعل عملاً كهذا غير محسوب

وفعلاً بعد أسبوع صلينا في الأقصى، وقد سمحوا لنا بالدخولِ، ولكن بعد إنهائِنا الصلاة هجمت كل القوات على المصلين، وبدأوا بإطلاقِ النَّار وبدأ الشبان يلقون الحجارة، فما كان مني ومن عمار إلا أن انسحبنا من بين القوات ولم نفعل شيئاً؛ لأن عملنا عمل مسلح، فلا يجب أن نعتقل بسبب حجر.

في أحد الأيام كنت أشاهد أخبار الجزيرة في بيتنا في منطقة كفر عقب، وإذا بخبر عاجل مفاده اغتيال القائد في حركة حماس **الدكتور عبد العزيز الرنتيسي**، فتأثرت كثيراً لاستشهاده، ولكني لم أستطع أن أتمالك نفسي حتى انفجرت من البكاء، وفي هذه اللحظة اتصلت بعمار من أجل أن نلتقي، وذهبنا إلى مدينة رام الله للقاء لؤي كي آخذ المسدس منه، فأخذته وانطلقنا، وبدأنا نتشاور هل نخرج في الليلة نفسها؛ لتنفيذ عملية، فكان الرأي أن الوقتَ متأخر وكان ذلك بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٧.

وفي اليوم التالي تم إعلان الحداد والإضراب، وأغلقت المحال أبوابها، وكذلك الدكان الذي أعمل به.

وكانت هذه فرصة للخروج لتنفيذ عملية، ولكن عمار كان سائق سيارة لتوزيع البضاعة في منطقة القدس، فلم يستطع القدوم، وانتظرت يوماً آخر حتى تاريخ ٢٠٠٤/٤/١٩، واتصلت بعمار أكثر من مرة، ولكنه لم يستطع القدوم، وكانت الدكان التي أعمل بها مغلقة بسبب الإضراب المستمر لثلاثة أيام، وبعد اعتذار عمار عن مجيئه؛ لانشغاله، اتصلت بصديقي لؤي الذي يحمل الهوية الفلسطينية الخضراء وطلبت منه الحضور إلى مدينة رام الله، والتقينا في السيارة التي اشتريناها وعرضت عليه تنفيذ عملية إطلاق نار، وأخبرته

أن عمار مشغول وعلينا استغلال الإضراب، فوافق لؤي وأبلغته أنه سيكون هو من يطلق النار؛ لأنه لا يستطيع قيادة السيارة فهو لم يتدرب على ذلك.

وكنت أنا قد حصلت على رخصةِ القيادة منذ فترة، فعزمنا وتوكلنا، وهنا أخبرت لؤي أنني سأقلّه بالسيارة حتى حاجز قلنديا، وأنه يجب عليه المرور عبر الحاجز مشياً على الأقدام، وسأعبر أنا بالسيارة مع المسدس، وسألتقي به بعد الحاجز بعدة أمتار وهذا ما حدث، فالتقينا بعد الحاجز وركب لؤي السيارة، وتوجهنا نحو الحاجز الآخر حاجز الرام، ونزل لؤي من السيارة ولكن لم يعبر عبر الحاجز، بل التف من حول الحاجز لمسافة طويلة بدلا من ذلك، وعبرت أنا بالسيارة عبر حاجز الرام، ولحق لؤي السيارة من بعد الحاجز وصعد إليها، وانطلقنا نحو القدس وكانت الساعة السادسة مساءً، وعدنا إلى أحياء التلة الفرنسية مرة أخرى حيث كانت العملية الأخيرة، فكانت الشرطة الإسرائيلية قد نشرت في كل شارع حارسَي أمنٍ، فحاولنا أن نستهدفهم ولكن بعد تجولنا في المنطقة اتضح أنه يوجد الكثير من الحراس المنتشرين في الشوارع الأخرى، لذلك حاولنا أن نبتعد عنهم، ووصلنا إلى منطقة الجامعة العبرية، وحاولنا البحث في منطقة تقابل حي التلة الفرنسية وتسمى رميمة، وحاولنا ولكن دون جدوى إلى أن دقت الساعة العاشرة مساءً، ولم نكن قد

صلينا العشاء فذهبنا إلى مسجد علي بن أبي طالب في حي الشيخ جراح، وصلينا صلاة العشاء ودعونا الله أن يوفقنا، وخرجنا من المسجدِ عائدين إلى منطقة رميمة، وعند دخولنا شوارع المستوطنة كان مستوطنٌ يسير وحده على الرصيف، فقلت للؤي: هذا هو، وتجاوزت المستوطن وركنت السيارة على بعد ٢٠ مترا منتظرين وصوله إلى جانب السيارة، حيث يجلس لؤي.

فمن العبر التي أخذناها عدم نزولنا من السيارة حتى نستطيعَ الانسحاب من المكان بأسرع وقت ممكن، وفعلاً عند وصول المستوطن للجانب الأيمن للسيارة، حيث يجلس لؤي أخرج لؤي يده من شباك السيارة، وأطلق رصاصة واحدة في رأس المستوطن، فسقط مغشي عليه، وارتطم رأسه بالرصيف ومن شدة الارتطام، شعرت بارتباك أثناء قيادتي السيارة، حيث تركت عجلات السيارة علامات على الشارع وانطلقت مسرعاً إلى أن وصلت إشارة مرور وكانت حمراء

فقلت للؤي: إنني أنوي أن أقطعَ الإشارة وهي حمراء

<u>فقال لي:</u> لا تقطع الإشارة فإنه لم ينتبه أحد لنا

واستجبت لكلامه وتوقفت على الإشارة، وبعد عبورنا توجهنا إلى قلب مدينة القدس، وتحديداً إلى شارع صلاح الدين الأيوبي.

بالقرب من المحكمة المركزية، وركنا السيارة بالقربِ من المحكمة، وتركنا المسدس بداخلها، وافترقت عن لؤي لأنه يحمل الهوية الخضراء الفلسطينية، وأنا أحمل الهوية الزرقاء، وحتى نبعد الشبهة عنا سرنا كلٌ بطريقه باتجاه باب العمود، حيث باصات العمومي المتجهة لمنطقة كفر عقب، واستقل كل منا الحافلة المتجهة لحاجز قلنديا، وجلس كل واحد في كرسي، حيث جلس لؤي في مقدمة الحافلة، وجلست في الكرسي الخلفي للحافلة، وانطلقت الحافلة عائدة بنا إلى حاجز قلنديا، ولم نتعرض لأي سيارة شرطة ولم يوقفنا أحد، وكانت الطريق ميسرة، وعدنا لبيتينا تاركين خلفنا السيارة مع المسدس في القدس، وكانت هذه من العبر التي استخلصناها من أخطائنا، فعندما تهدأ الأمور نذهب لإحضار السيارة.

وعند وصولنا إلى حاجز قلنديا كان عمار ينتظرنا على أطراف منطقة كفر عقب، فاستقبلنا عمار، واستقلّنا بالسيارة التي كان يعمل عليها إلى بيوتنا.

كانت تلك الأيام من أجمل أيام حياتنا، استطعنا تكوين خلية عسكرية مسلحة، دون توجيه أو دعم من أحد، نمول وندرب أنفسنا بأنفسنا، ونخطط لوحدنا، ونرسم طريقنا بقدرة الله وتوفيقه. ثلاثة فتيان حملوا هم الوطن، وحلموا بالثأر له.. وكان لهم ما تمنوا..!

نهاية الحلم

بتاريخ ٢١ ابريل ٢٠٠٤ قررنا ثلاثتنا ولأول مرة أن نخرج معًا لتنفيذ عملية في منطقة تل بيوت، فذهبنا بسيارات العمومي إلى القدس من أجل إحضار السيارة، وتفحصنا المنطقة قبل أن نقترب من السيارة، ولكننا لم نرَ أيَّ حركة مشبوهة لقوات أمن، فركبنا السيارة وانطلقنا باتجاه تل بيوت وأخرجنا المسدس، وكان عمار يقود السيارة وجلست أنا بالخلف، وجلس لؤي بجانب عمار، وكان لؤي هو من سيطلق النار، ودخلنا إحدى حارات المستوطنة واستفردنا بشاب يسير مع فتاة، وأعمارهما تتراوح في العشرينات، وفتح لؤي الباب ليقترب منهما، ولكننا قررنا أن لا نطلق النار على نساء، وألغينا العملية، وحاولنا البحث عن هدف آخر، ولكن المنطقة كانت تعجّ بسيارات الشرطة التي تتجول في المستوطنة، فقررنا العودة لبيوتنا وإلغاء العملية في هذا اليوم، وعند وصولنا لحاجز قلنديا كان يوجد بجانب الحاجز ما يسمى كراجاً للسيارات، فوضعنا السيارة وبداخلها المسدس، ودفعنا أجرة وقوف السيارة داخل الكراج، وعدنا سيراً على الأقدام عبر حاجز قلنديا.

وهكذا طبقنا ما اتفقنا عليه، وهو عدم إدخال السيارة والمسدس لداخل مناطق الضفة؛ بل إبقائها خارج الحواجز؛ ليسهل عملنا.

وبتاريخ ٣٢ ابريل ٤٠٠٢ اتفقت مع عمار على الخروج لمدينة القدس لتنفيذ عملية، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة، فخرجنا بعد صلاة العصر، وقررنا أن نذهب لزيارة المسجد الأقصى لنصلي صلاة المغرب هناك، وذهبنا وصلينا صلاة المغرب، وكنا قد تركنا السيارة وبداخلها المسدس في كراج باب العمود، وبعد انتهائنا من الصلاة عدنا وأخذنا السيارة، وانطلقنا نحو التلة الفرنسية، وفي طريقنا اتصل عليّ لؤي

وسألني أين أنتم؟

فقلت له: في القدس

ففاجأني وقال لي: تعال وخذني من حي الشيخ جراح

لأنه كان ينتظر هناك، وكنت وقتها مَنْ يقود السيارة، وكان عمار يحمل المسدس بيده ويجلس بجانبي، وعند وصولنا لحي الشيخ جراح كان لؤي ينتظر على الشارع الرئيسي للحي، فركب معنا، وانطلقنا باتجاه التلة الفرنسية، وهذه المرة الثانية التي نخرج ثلاثتنا

وعند وصولنا حي التلة الفرنسية، كان يقف جيب عسكري على مدخل الحي، فمررنا بجانبه، وكأننا لا نراه،

ولكن عمار قال لي: إن من يجلس في الجيب ينظر إلينا

وبعد أن ابتعدنا عن الجيب نظرت في المرآة إن كان الجيب يتبعنا أو ما شابه ولكنه لم يتبعنا، والغريب أننا كلما دخلنا شارع جديد لا نرى أي حركة لا لسيارات ولا لمشاة، فبدأ التوتر ينتابنا، فقال عمار: يجب أن نعود للبيت، فالوضع غير طبيعي.

وفي هذه اللحظة نظرت في المرآة، وإذا بسيارة تسير خلفنا، فركنت السيارة على يميني؛ لأرى ما سيفعل من يقود خلفنا، وإذا به يتجاوزنا بعدة أمتار، ويركن السيارة مثلنا، فقررنا الانسحاب والعودة، حيث كنا في آخر شوارع حي التلة الفرنسية المؤدي للشارع الرئيسي، وإذا بنا نتفاجأ بالجيب العسكري الذي مررنا به ينتظرنا في آخر الطريق، فأكملت طريقي باتجاهه، وقبل أن أصله بأمتار معدودة، تقدم الجيب ووقف في وسط الشارع حتى لا نمر، وأغلق علينا الطريق، ومن ثم نزل كل الجنود بأسلحتهم المدججة، وكان عمار قد أعطى لؤي المسدس كونه يجلس في الخلف حتى يخبئ المسدس، ونجح لؤي في إخفاء المسدس، ثم اقترب الضابط مني كوني السائق

وقال لي: أطفئ السيارة « وتكلم باللغة العبرية»

فأطفأتها، وقال لي: ماذا تفعلون هنا؟

قلت له: إن اليوم يوم جمعة وهذا يوم عطلتنا، ونحن نتجول في

القدس

فطلب الهويات فأعطيناه هوياتنا، ولكنه تفاجأ بأن لؤي يحمل الهوية الخضراء، وفي القانون يُمنع على أي سائق مقدسي أن يُقل حامل هوية خضراءأيًّا كان من أهل الضفة، وأنه من الممكن أن يدخلَ السجن، فطلب الضابط من ثلاثتنا النزول من السيارة، فنزلنا ووقفنا على الرصيف، وكان الضابط يتكلم معنا وهو يشتبه بنا، ولكنه غير متأكد إن كنا نحن من أطلق النار في الفترة الأخيرة في هذه المنطقة، ويبدو أنه كان ينتظر قدوم قوات أكبر، فحاول التكلم معي، وسؤالي عن كاميرا كنا نحملها معنا في السيارة، وكان الضابط قد أعطى أوامره للجنود بتفتيشِ السيارة، وبدأ ثلاثة جنود بتفتيش السيارة بطريقة عنيفة، فكانوا يمزقون الكراسي، ويكسرون كل ما استطاعت أيديهم كسره، ونحن ننظر إليهم، وندعو الله أن يلطف بنا، ويعمي أبصارهم، ولكنهم وجدوا المسدس، ولم يُظهروا لنا ذلك فجاء ثلاثة جنود، ووقف جندي عند كل واحد منا، وفجأة أعطى الضابط الأمر بالانقضاض علينا، وبطحونا على الأرض، ووضعوا الكلبشات بأيدينا خلف ظهورنا، وإذا بسيارات حرس الحدود والشرطة والجيش يخرجون من كل مكان، ويتجمعون حولنا، وبدأوا يجرون كل واحد منا إلى مكان، فجروني وألقوني في حديقة أحد المباني، ووضعوا قطعة قماش على عينيّ، وكان أحد الجنود يقف

عند رأسي، وحذاؤه بجانب وجهي، وكأنه يريد أن يدوس على رأسي، ولكن أمراً ما يمنعه، فيبدو أن لديهم تعليمات بعدم المساس بنا، وبعد لحظات من إلقائي على عشب الحديقة، إذ كنت مستلقياً على بطني جاءني ضابط آخر

وبدأ يستجوبني، ما اسمك؟ ومن أين أنت؟

فأخبرته أنني من منطقة كفر عقب..

فقال لي: هويتك مسجل بها أنك تسكن في مخيم شعفاط..

فقلت له: كنا نسكن هناك والآن نحن نسكن في منطقة كفر عقب

فذهب وبعد لحظات جاء جنود، وساقوني نحو الجيب، ولأول مرة في حياتي أجلس بداخله، وبجانب الجنود، ولكن من حقارتهم أجلسوني على الباب، وكان الباب طوال الطريق مفتوح والجو بارد، وكدت أسقط من الجيب لأكثر من مرة، وهم غير مبالين إلى أن وصلنا المسكوبية مركز التحقيق.

فكان كل واحد منا في جيب فاقتادونا نحو مركز الشرطة؛ حتى يتم أخذ إجراءات الاعتقال والتوقيع على اعتقالنا لمدة ٢٤ ساعة، فأدخلونا إلى مركز الشرطة، وألقونا أرضاً بين غرف المكاتب لأكثر من ساعة، وبعدها أدخلوني إحدى غرف محققي الشرطة، وطلبوا مني التوقيع

على ورقة اعتقال لمدة ٢٤ ساعة، فرفضت التوقيع لعدم فهمي للغة العبرية، وانهالوا عليّ بالضرب، وقام ضابط شرطي واسمه فؤاد بالتوقيع بدلاً مني، وقاموا بتصويري من جميع الجهات، وصوروني وأنا أرفع يدي اليمنى ثم يدي اليسرى، وبعدها أحضروا مادة ورشوها على يداي، وعلى بطني وظهري ..

وبعدها صوروني، ويبدو أن هذه المادة تكشف إن كنت قد استخدمت السلاح أم لم أستخدمه.

واقتادوني بعدها إلى مركز تحقيق الشاباك أي المخابرات الإسرائيلية، وهنا لم أعد أرى لا عمار ولا لؤي، وأدخلوني غرفة التحقيق، وقبل جلوسي على كرسي التحقيق طلبوا مني خلع جميع ملابسي وأعطوني ملابس بديلة مستخدمة، ولقد تم حجز الملابس حتى يومي هذا، فيبدو أنه تم أخذها للمختبر للفحص.. وبعد أن بدّلت ملابسي أجلسوني على كرسي التحقيق ويداي مقيدتان للخلف مع الكرسي، وجاء أحد المحققين، وعرَّف بنفسه، ومن ثم خرج، وتذكرت حينها أنني لم أصلِّ صلاة العشاء، فصليت على الكرسي بالإيماء.

وبعد وقت عاد المحقق، وبدأ يحقق معي، وكان سؤاله الأول عن المسدس، وطريقة سؤاله ماذا كان يوجد في السيارة

فقلت له: ماذا كان يوجد؟

فغضب بسرعة وقال لي: يا كلب المسدس الذي وجدناه في السيارة لمن هذا؟

قلت له: لا أعلم فشتمني وخرج، ولكن في الحقيقة كنت مصدوماً ومنهاراً من الداخل؛ لعدم خبرتي بأساليب التحقيق، ولأني لم أقرأ، ولم يخبرني أحد من أصدقائي عن أساليب التحقيق، ولكن أكثر ما كان يضايقني هو المسدس فهو أكبر دليل على تنفيذِنا عمليتين... قتل فيهما إسرائيلي، وأصيب مستوطن يهودي آخر.

وعند عودة المحقق بعد نصف ساعة

قال لي: ألا تريد أن تخبرني ماذا حدث قبل أسبوع وقبل شهر..

قلت له: لا أعلم عن ماذا تتكلم وازداد الضغط عليّ والشتائم، وكنتُ مُرهقاً جسدياً وذهنياً..

ولكنه لم يتطرق للعملية الأولى التي كانت قبل عام، والتي قتل فيها ضابط، وأصيب ضابط آخر؛ لأن السلاح مختلف في العملية الأولى عن السلاح في العملية الثانية والثالثة، وأن المسدس الذي وقع بيدهم هو مسدس آخر عمليتين، وأن الأمر الذي جعلني أعترف هو أن بصماتِنا على المسدس، وهو بحوزتِهم، وكذلك السيارة التي

نفذنا بها العملية الأخيرة هي السيارة نفسها التي تم إلقاء القبض علينا بداخلها، إضافة لذلك كنا صغارا بالعمر إذ لم يتجاوز عمر الواحد منا ثمانية عشر عاما ونصف!

ومع طول فترة التحقيق تم الكشف عن العمليةِ الأولى وبكل تفاصيلها، واعتقل الشاب مأمون الذي باعني المسدس الأول، وحُكم عليه خمسة أعوام فقط، والسبب هو عدم معرفته بالعملية قبل تنفيذها، فلو كان يعلم لحكم بالمؤبد.

ولقد حاول المدعي العام أن يثبت طوال خمسة أعوام أن مأمون يعرف عن العملية قبل حدوثها حتى يزيدوا حكمه، ولقد استدعوني لأشهد ضده، والحمد لله كانت الشهادة من مصلحته، وتم الاكتفاء بالأعوام الخمسة.

وبعد إنهائنا التحقيق لمدة ٤٨ يوماً تم نقلنا وتوزيعنا على السجون والأقسام، فنقلوني وعمار لسجن إيشل في مدينة بئر السبع، ونُقل لؤي لسجن أوهلي كيدار، وبعد خمسة أشهر حُكم علينا أنا وعمار بالسجن المؤبد مرتين وعشرين عاماً، وحكم على لؤي مؤبد و١٥ عاماً، وبعد عدة سنوات تم الاستئناف للمحكمة لـ ٣٥ عاما.

وقد أكرمه الله عز وجل بحرية كريمة في صفقة وفاء الأحرار التي نفذت في تاريخ ٢٠١١/١٠/١٨.

وتم إبعاده لغزة وهو يعيش الآن هناك، وقد تزوج ورُزق بالأبناء، أما أنا وعمار فقد قدر الله لنا أن نبقى في الأسر نعاني قهره ومرارته متأملين بوجهه الكريم أن يحسن بنا ويخرجنا من السجن كما أخرج إخواننا الذين من قبلنا.

أخطاء وعبر:

- إن الحديث مع النفس وتصور وتخيل المشهد، وإقناع النَّفس بالنجاح، وعدم الفشل كان من الأمور التي عززت النجاح رغم عدم الخبرة.
- إن التشاور والتخطيط كان من الأمور المهمة التي ساعدتنا على إتمامِ عملنا، فرغم أن التخطيط لم يكن باستخدام القلم والورقة والرسومات أو المحاكاة بمجسمات، ولم يكن هناك زيارة لموقعِ العملية من أجل دراسة الموقع، ولكن الله وفقنا، فكيف لو تم الأخذ بجميع الأسباب ومن ثم التوكل على الله.
- إن الإقدام وعدم الخوف مهم، فكلنا مغرقون، ولكن التسرع في اتخاذ القرارات قد يسبب الفشل في بعض الأحيان، وهذا ما حدث معنا.
- إن عدم استخدام الهاتف النقال كان من أسباب النجاح واستمرار العمل لأكثر من عام.
- تنوع استخدام السلاح شتت المحققين، وآخرهم في كشف العملية الأولى.
- التعوّد على استخدام السيارات ساعدنا في عدم الانكشاف، وعند تكرارنا العمل في السيارة الأخيرة تم كشفنا.
- إن إصرارنا على تنفيذِ العمليات في المنطقة نفسها كان

من أكبر الأخطاء، وسببُ ترددنا على منطقة التلة الفرنسية نفسها، هو قربها من مناطق الضفة الغربية؛ ليسهل الانسحاب.

- من الأمور التي ساعدتنا هي أن التكنولوجيا واستخدام الكاميرات في زماننا عام ٢٠٠٣، ٢٠٠٤ ليست كيومِنا، فلم نكن بحاجة لأقنعة والتخفي وفحص الطرق من أولها إلى آخرها.
- السيارة الأخيرة التي اشتريناها لم تكن مسجلة باسم أي واحدٍ منا، أي: شبه مسروقة؛ لانتهاء صلاحية الرخصة، وهذا ساعدنا.
- من الأخطاء هي معرفتنا جميعاً بالتفاصيل كافة، فالأفضل أن يعرف كل واحد منا ما يجب أن يعرفه، أي: دوره.
- لقد شعرنا بيد الله التي تعمل بالخفاء، فقد كنا نخرج لتنفيذ عمليات، ودون رصد مسبق للطريق، ولكن هذا يُعدُّ من الأخطاء.
- عدم سماعنا لتجارب أسرى محررين، والأخطاء التي ارتكبوها حين اعتقلوا، وأيضاً لم تكن لدينا خبرة أمنية وعسكرية، فبالماضي كان من الصعب الحصول على المعلومات بعكس يومنا، فالطفل يحمل بجيبه العالم، فهو يستطيع الحصول على أي معلومة.

وبعد...

فما مضى كان صفحةً من صفحات المقاومة، منذ أن داست أقدامُ المحتلين أرضنا وحتى يرحلَ مهزوماً يوماً ما بإذنِ الله تعالى...

وبعد كلِ هذه السنواتِ في سجون الاحتلال ما ازدتُّ إلا قناعةً بعدالة قضيتنا، وحتمية نصرنا بعون الله.. ثقتنا بالله أولاً، ثم بسواعد الأحرار أن يُكسر قيدُنا، وتُنتزع من بين أنياب الأفاعي حريتُنا.

والله غالب على أمره، والحمد لله رب العالمين

ساجد أحمد أبو غلوس

الأسير
ساجد أبو غلوس

الأسير
عمار أبو غلوس

منذ أن تنفستُ هواء الحياة، وكتب الله لي أن أكون فردًا يخط خطواته الأولى فوق هذه الأرض المباركة، وبدأت أعي ما حولي، وأدرك الأمور، رأيت بلادي الحبيبة مسلوبة الأمن والأمان، يدنسها كل حين محتل ظالم، جمع قطعانه من كل صوب وحدب ليحلوا مكان أهلنا!
سرقوا أرضنا وانتهكوا عرضنا وارتكبوا أبشع المجازر وأكثرها إجراما عبر التاريخ بحق أجدادنا وآبائنا وما زالوا يرتكبون جريمة تلو الجريمة حتى ولدت وكبرت وترعرعت.
ولأن الله اصطفاني لأكون من أهل مدينة القدس المقدسة، الذي يحاول هذا المحتل بكل الطرق والوسائل تهويدها وسرقتها، بل تمادى في أحلامه العبثية وأصبح يريدها أن تكون عاصمته، رأيتُ الإجرام بعينه، ورأيت ما لا يمكن للقلب أن يتحمله وللعقل أن يدركه وللفكر أن ينشغل عنه.
كل ذلك بنا في داخلي عزيمة وإرادة، وجعلني أستشعر أمانة الدفاع عن أرضي بأي وسيلة أتمكن منها، لذلك عندما كبرت واشتدت عودي، وأصبحت قادرًا ومقتدرًا، كان لا بد من أن أفعل شيئًا أرد فيه لوطني اعتباره، وأنصر شعبي وقضيتي ومدينتي، وجعل هذا التفكير مني مقبلاً غير مدبر، ودون أن أنتظر الجهاد أن يناديني، بل كنتُ سباقا له، تواقًا لأن أجعل مني وسيلة لنصرة دين الله وحماية أرضه المباركة، والله من فوق سبع سماوات علم صدق نيتي، فأكرمني بخير مما كنتُ أتوقع وأتخيل، وأجرى على يدي عملياتِ ثأر وانتقام، كلفت العدو الغاشم خسائر بالأرواح، ورعبًا بالنفوس، وفرحة وشفاءً لكل فلسطيني ذاق من جرم هذا المحتل ما ذاق.
وبدلاً من أن أكتب رواية خيالية كالكثير من الكُتَّاب.. أصبحت اليوم من خلف قضبان السجن، أكتب رواية حقيقية مليئة بالأحداث والعبر والحكم، والأهم أنها مليئة بالقوة والتحدي والإرادة.. وإيلام المحتل أيما إيلام.
وهكذا أصبحتُ اليوم أنا.. بطل الرواية.